بسم الله الرحمن الرحيم

لم يمت رسولنا محمد ﷺ إلا وقد أدّى الرسالة، وبلّغ الأمانة، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فقد أكمل الله به الدين، حتى نزل قوله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا}، فكل زيادةٍ في الدين لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام فهي زيادة مردودة، وبدعة محدث، وذنب عظيم مُغضب لله سبحانه وتعالى.

ثبت في الصحيحين من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، ولمسلم وعلقه البخاري: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).

وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قال: و(كل بدعةٍ ضلالة).

وأخرج الخمسة إلا النسائي عن العرباض بن سارية –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قال:(إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة).

وثبت عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم) أخرجه أبو خيثمة في ''العلم (٥٤)''، ووكيع في ''الزهد (٣١٥)'' وغيرهما.

وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: (كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة) أخرجه اللالكائي (١٢٦) بسند صحيح.

وقال حسان بن عطية ـ رحمه الله ـ: (ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله عنهم من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة) أخرجه الدارمي (٩٩) بسند صحيح.

وقال مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ: (من أحدث في هذه الأمة اليوم شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأن الله تعالى يقول: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}، فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً) أخرجه ابن حزم في الإحكام(225/6)

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع). الفتاوى ٢٠/١٠٣]

فكل دينٍ لم يفعله رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام فهو بدعة مُغضبة لله، قال سبحانه : {أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله}.

وهذا بخلاف أمور الدنيا، فإن الأصل فيها الإباحة، فاتخاذ المكيفات أو السيارات، أو الطائرات، أو غير ذلك، مباح؛ لأن الأصل في أمور الدنيا والمعاملات الإباحة، بخلاف الأصل في العبادات.

من هذه النقول وغيرها تتضح لنا خطورة البدع، لاسيما وأنها تشتمل على شيء من الخير في ظاهرها، لذا يسارع قليلوا العلم إليها ويسهل انتشارها بينهم كما قرره الإمام ابن تيمية.. الفتاوى ٤/٥١، الاستقامة ١/٤٥٥]

وصدق الإمام الحافظ أبو زرعة الرازي ـ رحمه الله ـ حين قال: ما أسرع الناس إلى البدع !!سؤالات البرذعي ص ٥٦٢، تاريخ بغداد ٨/٢١٥، ميزان الاعتدال ١/٤٣١.

والقاعدة الشرعية: أن كل عمل يتقرب به المسلم إلى ربه ويرجو منه أجراً وثواباً لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه رضي الله عنهم مع إمكانهم فعله وعدم وجود مانع من ذلك فهو من جملة المحدثات والبدع.

وهناك بدعًا كثيرة شاعت بين المسلمين، ويرجع ذلك لأسباب منها الجهل، ومنها أنه يقلد بعضهم بعضًا ومنها أن البدع تكون شائعة فينشأ عليها الصغير ويهرم عليها الكبير.

ومن أسباب انتشار البدع الاستحسانُ، فكم استحسن أقوام عبادات بذوقهم، أو بعقلهم، فوقعوا في البدعة. قال الإمام الشافعي-رحمه الله-: من استحسن فقد شرع.

روى الدارمي أن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه- دخل المسجد، فرأى الناس حِلقًا، يقول أحدهم في كل حلقة: كبروا الله مائة، هللوا الله مائة، احمدوا الله مائة، فيُكبرون ويحمدون ويعدون ذلك بالحصى، فلما رأى هذا عبد الله بن مسعود قال" :مَا هَذَا الَّذِى أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلاَءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ – رضي الله عنهم – مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحِو بَابِ ضَلاَلَةٍ، قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الْخَيْرَ، قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ"

فالقسمة ثنائية لا ثالث لها، إما أنكم على خير لم يعرفه رسول الله ﷺ أم أنكم مفتتحو باب ضلالة.

ولا تكفي النية الحسنة، بل لابد مع النية الحسنة من عمل حسن، وهو متابعة الرسول الله ﷺ.

وقد حاول الشيطان وحزبه أن يُفسدوا هذا الأصل العظيم، فأحدثوا للناس شيئًا خطيرًا بمكرهم وخديعتهم سموه بالبدعة الحسنة، فإذا أُنكر على أحدهم وقوعه في بدعة، قال معتذرًا: بدعةٌ حسنة، وإن لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام.

أي حُسن في عبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام؟ لذا قال ابن عمر فيما تقدم: "كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة."

ومن البدع التي تفعل آخر السنة الهجرية بدعةُ ختم العام بعمل صالح، فتتناقل الرسائل التي تدعو لختم السنة الهجرية بعمل صالح، باستغفار أو بصيام، أو بصدقة أو غير ذلك.

بزعم ختم صحيفة العام بعمل صالح.

ودافعهم إلى ذلك اعتقادهم أن صحائف أعمال كل سنة تطوى في آخرها فيحبون أن تكون خاتمة صحائفهم خيراً، كما يدفعهم إلى ذلك في بداية العام استحسانهم افتتاح العام بعبادة.

وهذا العمل منهم ـ وإن كان ظاهره الخير ـ هو من جملة الأعمال المحدثة المبتدعة المخالفة للسنة لأسباب منها:

١- أن العبادة إذا ورد الأمر بها مطلقاً دون تحديد لوقتها، فإن تقصد تخصيص وقت لها بلا دليل يعتبر من البدع.
أفاده الأئمة ابن تيمية وابن القيم والشاطبي والألباني وابن عثيمين ـ رحمهم الله ـ
]الفتاوى ٢٠/١٩٦، إعلام الموقعين ٣/١٥٧، الاعتصام ١/ ٣١٨ و ٤٨٦، أحكام الجنائز صـ ٢٤٢، الشرح الممتع ٤/٥٦، البدع والمحدثات صـ ٤٠]

وهذا هو الحاصل تماماً في ختم السنة وافتتاحها بتلك العبادات، فما دليل مشروعية تخصيصها في هذا الوقت؟

٢- أن هذا الفعل لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه والتابعين وأئمة الإسلام، فهل نحن أحرص منهم على الخير؟!

ومعلوم أن (العبادات مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع) [الفتاوى ٢٢/٥١٠]

٣- القول بأن صحائف العام تطوى في آخره، دعوى تحتاج إلى بينة وبرهان إذ هو أمر غيبي يحتاج إلى دليل وأنّى لمدعيه ذلك؟

٤- لو ثبت أن الصحائف تطوى آخر السنة فهذا لا يجيز بحال تقصد ختمها بعمل صالح؛ إذ لو كان خيراً لسبقنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ، فكيف وهو لم يثبت ولم يصح؟

٥- المقرر عند أهل العلم أن صحائف الأعمال إنما تطوى بالموت، وبين ذلك جمع من المفسرين عند تفسير قوله تعالى: {وإذا الصحف نشرت} [سورة التكوير الآية رقم ١٠]

[تفسير الطبري ٣٠/٧٣، والقرطبي ١٩/٢٣٤، وابن كثير ٤/٥٠٥، والشوكاني ٥/٣٨٩]
وينظر: مدارج السالكين للإمام ابن القيم (١/٤٥٠ و ٣/١٢١)

٦- من المعلوم أن التاريخ الهجري لم يوضع إلا في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، واتفق مع الصحابة على أن يكون أوله شهر محرم وآخره شهر ذي الحجة.
فيا ترى متى كانت تطوى صحائف الأعمال قبل وضع التاريخ الهجري؟!

٧- ذهب جمع من العلماء إلى أن صحيفة العام تُختم في ليلة القدر وهو الذي اختاره الإمام ابن القيم في كتابه (شفاء العليل)، قال سبحانه :{فيها يُفرق كل أمر حكيم. أمرًا من عندنا}.

وبهذا يتبين لنا أن تقَصُّد المسلم ختم العام الهجري، أو افتتاحه بعبادة من صيام أو دعاء أو استغفار أو غير ذلك هو من الأمور المنكرة والبدع المحدثة في دين الله تعالى.

وكذلك الاحتفال بالسنة الهجرية، فقد اعتاد بعض المسلمين أن يحتفلوا بالسنة الهجرية؛ ويؤجزون لها؛ ويجعلون لها احتفالات خاصة ونحوه، كما يحتفلون بمناسبة الإسراء والمعراج، وكل هذا من البدع والمحرمات فإنه لو كان خيرًا لسبقنا إليه سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان

يجب أن نكون حذرين من البدع وألا نستسهلها، فإن الأمر يبدأ صغيرًا ثم يكون كبيرًا.

إن ذنب البدع عظيم، وهو مسخط للجبار العليم، واعلموا أن من أجل أعمالكم وأزكاها أن تلقوا الله سالمين من البدع.

فائدة:

إذا وافق أول العام أو آخره يوماً يستحب صيامه، كالاثنين مثلاً، فله أن يصومه؛ لكن دون أن يكون قصده ونيته ختم العام أو افتتاحه بصيام، وإنما يصومه لأنه يوم الاثنين، وقد ثبت في السُّنة الحث على صيامه، والأعمال بالنيات.

فائدة:

تقصد الاجتماع والاحتفال في بداية العام أو نهايته منكر ومحرم، لأنه حينئذٍ من جملة الأعياد، وليس للمسلمين إلا عيدان.

وقد أفاد بعض الباحثين أن الاحتفال برأس السنة الهجرية بدأ في سنة (١٢٢٦هـ) في مصر، تقليداً للنصارى!
ينظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر(229/1) للدكتور محمد محمد حسين-رحمه الله.

وذكر المقريزي في الخطط (٢/٤٩٠) أن الاحتفال برأس السنة الهجرية كان من جملة احتفالات العبيديين الباطنيين!!

وختاماً:

قال الإمام البربهاري: (واحذر صغار المحدثات من الأمور فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع الخروج منها فعظمت وصارت ديناً يدان به فخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام). شرح السنة صـ ٦١

**وقال الإمام ابن تيمية: (فالبدع تكون في أولها شبراً، ثم تكثر في الأتباع حتى تصير أذرعاً وأميالاً وفراسخ) [الفتاوى ٨/٤٢٥.

وقال: (إنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخف، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قَوِيَت البدعة).. (التدمرية صـ ١٩٤) (الفتاوى ٢٨/٤٨٩)

**وقال الإمام ابن القيم: (البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها حتى ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة من العجين، فمفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر، والعميان ضالون في ظلمة العمى ((ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)))..

[مدارج السالكين ١/٢٢٤.

فالله الله يا عباد الله في دينكم وسنة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم، أحيوا السنن بإماتة البدع؛ فمن أحيا سنة وأمات بدعة كان له الأجر العظيم، وله أجر من تبعه إلى يوم الدين.

وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جمع وإعداد

أبي العباس/ سالم بن سعيد العباسي

الرياض- ١٤٤٧/١٢/٢٨ هـ